

اهتزاز صورة المرشد في إيران بعد مقتل سليمان

خلافة علي خامنئي تشعل الصراع داخل مؤسسات النظام



موت سليمان يجعل الوضع أكثر تعقيدا

ويقول أحد المطلعين على سياسات النظام الإيراني "عندما يموت خامنئي سيتولى الحرس الثوري السيطرة على البلاد بالكامل حتى يتمكن مجلس خبراء القيادة من اختيار قائد جديد"، مشيراً إلى أن الحرس الثوري سيكون القوة العليا القادرة على التأثير على عملية اختيار خليفة خامنئي وكبح أي أزمات محتملة والحفاظ على الأمن.

ويؤكد الحرس الثوري الإيراني التزامه بواجبه الدستوري الذي يفرض عليه الحفاظ على البلاد كما يرى نفسه المسؤول عن "تحقيق المهمة الأيديولوجية الأساسية المتمثلة في الجهاد في سبيل الله".

موت المرشد بعد المرشد

تقوم تهنئات في الداخل الإيراني حول الشخص الذي ستفضله قيادة الحرس الثوري، ويتوقع محللون نظراً إلى الأحداث الأخيرة أن تعيد المؤسسة العسكرية في إيران إلى نجل خامنئي الثاني، مجتبي، على الرغم من أنه لم يحقق الكثير في حياته الدينية والسياسية. ويدرس مجتبي البالغ من العمر 51 عاماً في مدينة قم، التي تعتبر مركز تعليم مهم للشريعة في إيران، مما يمنحه رتبة دينية رفيعة وضرورة لتولي دور المرشد الأعلى. وقال أحد أقاربه إنه "يتبنى أفكاراً مماثلة لوالده ونظرة فاقية تجمعها علاقات جيدة مع الحرس الثوري. ورغم أنه لا يتمتع بسلطة والده، إلا أنهم لن يستطيعوا مواجهة كلمته".

ويرى المرشد من النظام في مثل هذا الاختيار عملاً سيحؤول المنصب إلى عصر يذكر بالملكية الوراثية التي أطاحت بها الثورة الإسلامية قبل أكثر من 40 سنة. كما يعد إبراهيم رئيسي المرشح المحتمل الآخر، وهو رئيس السلطة القضائية المتشدد والذي خسر الانتخابات الرئاسية في 2017 ليتحول إلى شغل حملة ضد الفساد. ويقول أحد المحللين المحافظين "تحدد الفوائد السياسية أن تكون المنافع مشتركة وتخدم مجموعات من المصالح المختلفة".

يجب أن تتأكد الجماعات السياسية والمجتمع من أن هذا الاختيار يتناسب مع مصلحتهم. ويقول أحد أقرباء المرشد إن "التطورات الأخيرة كانت بمثابة دعوة للاستيقاظ لتذكركنا بأن الولايات المتحدة يمكنها خوض حرب مع إيران في أي وقت، ونحن بحاجة إلى زعيم شجاع آخر قادر على الحفاظ على استقرار البلد".

قوة الحرس الثوري

يشكل الحرس الثوري الإيراني، الذي يبلغ عدده 120 ألف عسكري، المؤسسة الإيرانية الأكثر تنظيماً مما يمنحها النفوذ الأكبر في عملية اختيار الخليفة. كما يسيطر هذه الجهاز على قوة من المتطوعين الذين تصل أعدادهم إلى الملايين مما يزيد من قدرته على التأثير وينتشر السياسيون المقربون من الحرس الثوري في مؤسسات مختلفة في إيران مثل مكتب المرشد الأعلى والرئاسة والبرلمان والقضاء. وتتمتع هذه القوة بمصالح في الاتصالات والتجارة والبروتوكولات وغيرها من القطاعات الأخرى، وهو نفوذ حاول الرئيس حسن روحاني كبحه في السابق عبر الاستغناء عن العقود في الشركات المملوكة للدولة.

كما يدير الحرس الثوري جهاز المخابرات المسؤول عن سجن المئات من الناشطين المؤيدين للديمقراطية، والمواطنين الحاملين لجنسية مزدوجة والمتهمين بالتجسس. وفي حين يحمل الحرس الثوري قدرة كافية على التأثير على خامنئي حيث يقول المحللون إنه يظل موالياً له ويحترم كلمته الأخيرة في جميع الشؤون. ومع ذلك، قد لا يتمتع المرشد الأعلى القادم بنفس القدر من السلطة.

ويقول مهدي خلجي إن "سليمان كان يمثل سلطة بديلة لا تضاهي، كان شخصاً قد منح الخبراء الزعيم الديني ويجب أن يعامل كما لو كان الله من عينه في منصبه لحكم العالم الإسلامي، لكن السياسيين الإصلاحيين يرفضون هذا التفسير الديني ويطلبون بعملية أكثر ديمقراطية من خلال الانتخابات".

وكانت هذه التفسيرات المختلفة جوهرًا للصراع السياسي الإيراني منذ سنة 1989 عندما تولى خامنئي منصب أصبح زعيم الثورة الإسلامية في 1979. ومنذ ذلك الحين يعتمد خامنئي، الذي لم يتمتع بكاريزما سلفه ورتبته الدينية العالمية، على الدستور مما مكنته من "سلطة مطلقة" على جميع شؤون الدولة.

وعمل خامنئي على توسيع نفوذ الحرس الثوري وحوله إلى ذراع اليمنى في ممارسة السلطة لقمع أي احتجاجات تطال النظام الديني في إيران. ويتوقع محللون أن يسرع خامنئي من جهوده لتقوية الحرس الثوري أكثر على خلفية الأحداث الأخيرة التي شهدتها إيران سواء في الداخل على مستوى الاحتجاجات أو في الخارج على مستوى قيادة ميليشياتها المختلفة.

لقد بات الأمر بمثابة نكتة سميحة، إذ اكتشف الأتباع أن سليمان مات، وهو مقاتل لوحده، ولم تنجده أي قوة خارقة بما في ذلك قوة المرشد، وهو ما سيدفع السلطات إلى المزيد من التطرف سواء في إسكات النقد بالداخل، أو في إطلاق أيدي الحرس الثوري والميليشيات الحليفة في الخارج.

معركة خلافة

شكل مقتل سليمان ضربة كبيرة لإيران في الداخل والخارج، ووجهت العملية بأكملها "لطمة" لخطط المرشد الأعلى الذي كان يعول كثيرا على مساعده الأقرب في تدعيم أركان النظام الديني بعد موت خامنئي ذاته. ونقلت صحيفة فاينانشال تايمز عن محلل سياسي إيراني موالٍ للتيار الإصلاحي قوله "تشهد العالما محلية وأجنبية معقدة جدا وترتكز جميعها على مسألة من خلف خامنئي"، مضيفا أن "إعطاء المزيد من التمكين لعناصر الحرس الثوري، سياسة متعمدة لجعلهم القوة المهيمنة حتى يتمكنوا من لعب الدور الرئيسي في انتقال السلطة".

الأمر بات بمثابة نكتة سميحة، إذ اكتشف الأتباع أن سليمان مات، وهو مقاتل لوحده، ولم تنجده أي قوة خارقة بما في ذلك قوة المرشد

ويقال إن "سليمان كان يمثل سلطة بديلة لا تضاهي، كان شخصاً قد منح الخبراء الزعيم الديني ويجب أن يعامل كما لو كان الله من عينه في منصبه لحكم العالم الإسلامي، لكن السياسيين الإصلاحيين يرفضون هذا التفسير الديني ويطلبون بعملية أكثر ديمقراطية من خلال الانتخابات".

ويقال إن "سليمان كان يمثل سلطة بديلة لا تضاهي، كان شخصاً قد منح الخبراء الزعيم الديني ويجب أن يعامل كما لو كان الله من عينه في منصبه لحكم العالم الإسلامي، لكن السياسيين الإصلاحيين يرفضون هذا التفسير الديني ويطلبون بعملية أكثر ديمقراطية من خلال الانتخابات".

بأن الضربة هي يوم من أيام الله، في تفسير قدرتي تبريري للفشل بالتصدي للهجوم، مذكرا الناس بما وصفها "نعما جلبها حدثان مختلفان في خمسة أيام". وأشار إلى النعمة الأولى بأنها "أكبر موكب جنازة في العالم"، حيث اجتمع الإيرانيون لتشجيع قائد فيلق القدس، قاسم سليمان، الذي قتل في غارة شنتها الولايات المتحدة على موكبه في بغداد في 3 من يناير.

وتمثلت الثانية في إطلاق طهران لصواريخ من أراضيها نحو قاعدتين عسكريتين أميركيتين في أربيل وعين الأسد غرب بغداد في 8 من يناير. وقال المرشد حينها إن الهجوم يعد "لطمة على وجه" الولايات المتحدة.

ويعتد للغة التي وظفها القائد البارز برسالة واضحة للسياسيين الإيرانيين وإلى بقية العالم مفادها أن هاشم المناورة محدود، وأن كل الاستعدادات الإيرانية لمواجهة الولايات المتحدة لا تتجاوز الشعارات والوعود.

ويعتقد المحللون أن هاشم المناورة أمام المرشد بات محدودا في إقناع الإيرانيين بالأيديولوجيا المرتبطة بجهات خارجية خارقة يستمد منها العون والقوة والتصدي.

مجازفة إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب باغتيال قاسم سليمان، الرجل القوي والنافذ في إيران، أربكت النظام ودفعت الصراعات التي كانت تحت الرماد إلى الخروج على السطح ليس فقط بين الإصلاحيين والمتشددين، ولكن، وبالأساس بين المتشددتين الذين تريد كل جهة منهم أن تملك القيادة، في وقت تزداد فيه قوة مؤسسة الحرس الثوري على حساب المؤسسات الأمنية والعسكرية الأخرى، خاصة أن أنصارها نجحوا في ذروة قوة سليمان في السيطرة على معظم المؤسسات الحيوية.

طهران - مثل مقتل قاسم سليمان، القائد السابق لفيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني، اختبارا جديا للمفاهيم التي حملتها ثورة الخميني في 1979، وهي مفاهيم تقوم على عنصر رئيسي هو الحكم الذي يستمد مقاربه من مرجع أعلى يأخذ تعليماته من جهة خفية، ولذلك تراه يستند إلى النص الديني لإكساب هذا الدور قدسية لا ترقى إلى أي نقد أو تشكيك، لكن الهجوم الأميركي هز تلك الصورة وظهر أن مصادر القوة لـ"الولي الفقيه" لا تستطع حمايته، فضلا عن بناء دولة قادرة على مواجهة "الشیطان الأكبر" وهزمه.

بعد الضربة القاصمة التي هزت ثقة الناس في حكم رجال الدين، باء المرشد الأعلى على خامنئي إلى الاحتماء بالنص الديني لتبرير السكوت على الهجوم والعجز عن حماية نراعه اليمنى قاسم سليمان، وقدم تفسيراً يحول الهزيمة إلى نصر مؤجل مستشهداً بآية من سورة إبراهيم "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله".

تلا المرشد الأعلى الإيراني هذه الآية على مسامع الآلاف من المصلين، الذين احتشدوا لإداء فريضة يوم الجمعة، للإيعاء



خامنئي يسرع من جهوده لتقوية الحرس الثوري